نحيا حياة عميقة يجب أن نحيا في ازمة ، لان الازمة هي التي ترفعنا الى اصعدة نبيلة في الوجود . وكي نتذوق الحياة باصالة وجب ليس فقط أن نغامر ، بل أن نخسر .
بين مشاغل الوجودية الاولى ، في الواقع ، نجد التنبيه الى الابعاد العميقة والجدية في الوضع الانساني ، كأبعاد تناقض الحياة السطحية والضحلة التي يحياهـــا الانسان ، والتي يتجنب فيها مواجهة قضايا وجوده الاولى ، مما يجعل الحياة فقيرة ومنكفئة . هذا المفهوم ليس تصورا ادبيا او فلسفيا محضا ، بل كان ذا نتائج مباشرة وجذرية في علم التحليل النفسي حيث وجد بعض علمائه كماسلو وماي انه يلقي الضوء على الكثير من القضايا التي تواجههم . فقد رأى هؤلاء مثلا أن المصيبة او النكبة التي يتعرض لها فرد ما غالبا ما تكون ذات مفعول علاجي . فقـــد يقود الالم الذي تولده الى شفاء المريض النفسي . هناك عدد آخر ايضا من علماء هذا العلم يرون أن من اهم الاسباب في كون المعالجة بالصدمات ، كهربائية وغيرها ، تقود الى نتائج ايجابية في المرضى ، هو أن هذه المعالجة توفر لهم تجربة موت وولادة خيالية .
في الادب أيضا نجد تأكيدا لهذه الطبيعة الخلاقة للازمات ، للصراع ، للعنف والالم . فالانسان يتنازل عن معناه عندما يقبل بوجود رتيب ، يعيش فيه وبه . هذا القبول يعبر عن ضعف ، ولا يمكن ان يقود للحرية ، والوجود الصحيح هو الذي يصل اليه الانسان بعد المرور بالفوضى والبلبلة والالم . هذا المفهوم يطالعنا في مجموعة كبيرة من الادباء ، من نيتشه ، وبلاك ، ودوستويفسكي ، الى هيس ، وويلسن . اننا ، في الواقع نجد عددا من كبار الادباء ، كهيس ، وستريندبرغ ، قد انتجوا اجمل انتاجهم أو قسما مهما منه ، بعد انهيار عصبي أو عقلي أصابهم . في « الدكتور فوست » ، يكتب توماس مان ، بأن الخاطىء العادي لا يثير عطفا كبيرا ، والسلوك العادي لا يتميز بأية مكانة لاهوتية . ولكن القدرة على خطيئة لا تجد شفاء وتجعل الانسان ييأس باطنيـــا من الفداء ، هي الطريقة اللاهوتية الصحيحة الى الخلاص .
الاوضاع التي يحدث فيها العنف الثوري الكبير تكشف عن الظاهرة نفسها . فهي أوضاع يشعر فيها المجتمع أو قسم منه شعورا حادا بانهيار الوجود اليومي الرتيب ، فيرد على الانهيار بالعنف الثوري يعالجه ويتجاوزه فيه . هذا الشعور بالوصول الى نهاية الاشياء القائمة والعادية ، أو بوصول الوجود الراهن والتقليدي الى نهايته كان من أهم الحوافز الى العنف الثوري . لقد كتب كيركجارد مرة ، « ليست الطريق هـــي الصعبة ، ولكن الصعوبة هي الطريق » . العنف الثوري الذي يجابه فيه الانسان التحديات الكبيرة هو الطريق الى الخلاص من وجود مرهق ومذل .
الخلق والابداع يتوفران في ذيل التدمير والهدم ، ولا يمكن للصعيد الاول أن يحقق ذاته دون الصعيد الثاني . فهما وجهان لحقيقة واحـــدة ، وعلاقتهما هي علاقة ديالكتيكية وثيقة . كل شيء موجود مقضي عليه بالخراب والموت ، وعملية الخلق والابداع تبدأ ، عند اعتماد العنف الثوري ، في تكنيس مسرح التاريخ مـــن العقائد والنظم والتراكيب الهرمة التي أخذ يدب اليها الموت والخراب . هزة الخلق والابداع تلازم مطرقة الهدم والتدمير القاسية .
العنف الثوري المستمر ضد احتلال ارضنا ضروري ليس فقط في سبيـــل تحرير هـــذه [illegible] ض ، بل للحيلولة دون استقرار الاوضاع العربية وتحجرها ، ولممارسة الضغط الار[illegible] عليها بغية تجديدها ومعالجتها . فالمجتمع العربي يحتاج الى هذا العنف الذي الدائم [illegible] كي يتمكن من تجديد حيويته واحياء طاقاته ، الكشف عنها وحشدها . فهو يمتد ويتعمق [illegible] الحاد ليس بيننا وبين الاحتلال فقط ، بل بين الواقع العربي يمثل ويبلور ويعم[illegible] ل عليه هذا الواقع ، بين المصالح والقيم المرتبطة بهذا الواقع القائم وبين ما يجب [illegible] ض تجاوزها ، بين حياة يومية تقليدية رتيبة وبين سلوك جديد وبين التحرير الذي يؤ[illegible] لى تكسير طوق هذه الحياة اليومية والتحرر من كابوسها الذي يحفز الشعب ويدفعه